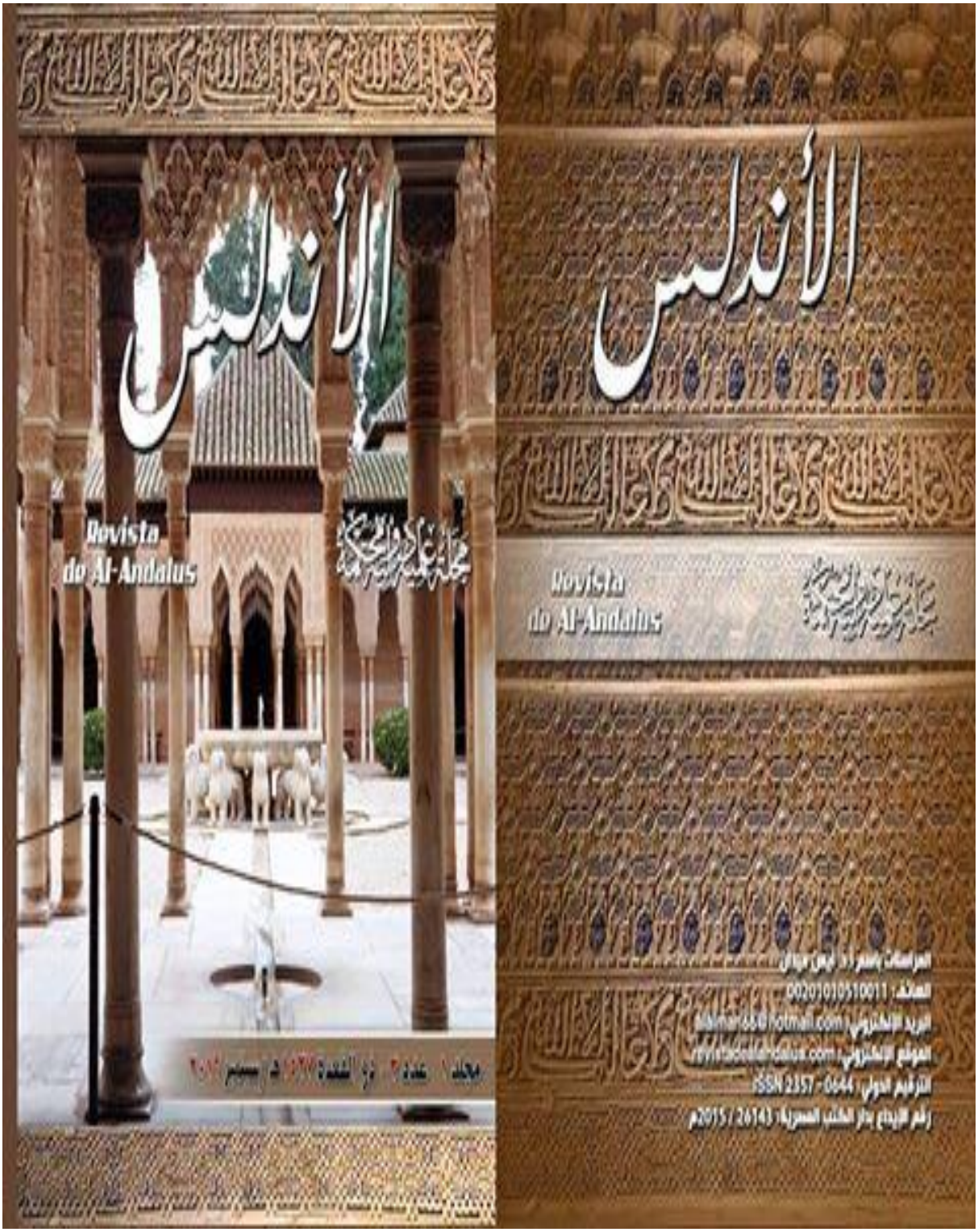
الأندلس
Revista
do Al-Andalus
الأندلس
Revista
do Al-Andalus

فهـرس العـدد الثالـث
مجلــة الأندلــس
مج 1 / ع3 ـ ذو القعدة 1437هـ / سبتمبر 2016م

أولًا الدراسات العربية :
المقدمة.....
التراث الموريسكي المخطوط
أ. د خالد فهمي .....
لمحات نقدية في المختارات التوشيحية
د. عبد الستار بشية .....
ارتحال المصريين إلى الأندلس
د. محمد دبور .....
مكة في عيني مُدَجَّن أندلسي
د. مصطفى وجيه مصطفى..... .
مفهوم الإنسان الكامل بين موسى بن ميمون وابن عربي
د.سهير دويني..... .....
اسْتِدْعَاءُ الشَّخْصيّاتِ التُّراثيّةِ في شِعْرِ ابنِ الحَدّادِ الأَنْدَلُسيّ
د. خالد سليمان الخلفات..... .
ثانيًا: الدراسات الأجنبية:
النصوص الشعرية لابن الخطيب (بالإسبانية)
أنطونيو فرناندز بيورتاس 1

الشعر العبري الديني في الأندلس (بالعبرية)

نعمة جاسم محمد 31

لمحات نقدية في المختارات التوشيحية

توشيع التوشيح للصفدي، وجيش التوشيح لابن الخطيب، نموذجان

كتبه

د.عبد الستار العريفي سالم بشّيه

قسم اللغة العربية - كليه الآداب – جامعة طرابلس

تعد ظاهرة المختارات من فنون النظم والنثر من الظواهر التي شاعت بين الأدباء عامة، والنقاد على وجه الخصوص، وهي تعد من النقد التطبيقي؛ لأن واقع الاختيار–ولاسيما إذا كان من أديب مشهور، أو ناقد حاذق بالصنعة الأدبية، ذي عمق معرفي بمواضع إحسان المبدعين وإساءتهم– يكون ذا قيمة نقدية عالية؛ وذلك لما بذل فيه من جهد في انتقاء الجيد من الأشياء، والتركيز على إبراز جواهرها المكنونة، كما أن اختيار المرء قطعة من عقله، والحكم على الشيء فرع من تصوره، وقد يكون مرد هذه الاختيارات هو الذوق الفني العام أو الخاص، أو الطبعي الذاتي، أو يكون بتأثير الحكم الفني الجماعي، أو الميل الفني، أو الميل المذهبي في شتى صوره، وقد يؤثر في تلك الاختيارات النص الأنموذج المعروف بالنص المعياري في النقد الأدبي.

وتزيد هذه المجاميع قيمة نقدية إذا ما علّق الجامع على مناح في مختاراته، كأن يوجه بعض نقده إلى صاحب النص، أو النص نفسه، من جهة ألفاظه، أو معانيه، أو أوزانه وقوافيه، أو إليها كلها مجتمعة. وتتنوع الاختيارات الأدبية بعامة على أسس مختلفة، وتقسم بحسب موضوعاتها وغاياتها إلى عدة أنواع أشهرها:

1– اختيارات على أساس الفن النظمي:

وهي التي تختص بالاختيارات على أساس الفنون النظمية السبعة المشهورة في الأدب العربي: الشعر القريض، الموشح، الدوبيت، الزجل، القوما، الكان الكان، المواليا[1]، وإذا

(1) انظر: العاطل الحالي والمرخص الخالي، ص7.

اجتمعت هذه الفنون في اختيار، فغالبا ما يسمى هذا الاختيار باسم السفينة، مثل سفينة (ابن مبارك شاه)[2]، أو(سفينة الملك ونفيسة الفلك) لشهاب الدين المصري[3]، وقد شاعت تسمية السفينة للمختارات المنوعة مجازا[4]، بخلاف الديوان الذي غالبا ما يكون لشاعر واحد، أو قبيلة واحدة، كما سُمِّيَت مجاميع الأزجال بالأحمال[5].

2- اختيارات لشاعر واحد:

وهي اختيار الأديب لنفسه، مثل (أحلى قصائدي) لنزار قباني، أو يقع الاختيار من شخص آخر، كالمختار من شعر بشار، للخالِدِيْن، واختيار أدونيس من شعر المتنبي والسياب، وما قدمته الهيئة العامة المصرية للكتاب، في إصدارات مكتبة الأسرة التي قدمت مجموعة من المختارات الشعرية، منها: مختارات للمازني، والعقاد، وشكري، وأبوشادي، ومطران وغيرهم.

3- المختارات العامة:

وهي اختيارات لمجموعة من الشعراء، تحت قيد المختار لها، والمعيار النقدي الذي وضعه لمختاراته، وفي مقدمتها، المعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، ومنها ما أصبحت التسمية به ظاهرة مثل:

أ- ما عرف بظاهرة الحماسة في القديم، منها: حماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، وحماسة ابن الشجري، لهبة الله بن علي ابن الشجري، والحماسة البصرية،لعلي بن فرج البصري[6]، والحماسة المغربية، لأبي العباس أحمد الجرّاوي التادلي، ويدخل تحت هذا الأساس في الاختيار: مختارات البارودي، وشاعر وقصيدة، للعماد مصطفى طلاس، وقول على قول، لحسين سعيد

---

(2) نشر (ولهم هونرباخ) نصوصا منها، ألحقها بالعاطل الحالي والمرخص الخالي، انظر: ص184.

(3) طبعت عدة طبعات حجرية في مصر، منها: طبعة 1273هـ، وطبعة1281هـ.

(4) لأنها تجمع من فنون النظم وأغراضه لمجموع من الشعراء والوشاحين والزجالين، فهي مثل السفينة الجارية التي تجمع بين كثير من الأشياء مختلفة.

(5) وسمت بعض المجاميع الزجلية بمصطلح الْحِمْل، منها: حمل زجل1/69، خلاصة الأثر للمحبي. حمل زجل للشيخ عبد الله الشبراوي 2295- بسيم2617، الأزهرية. كما ورد هذا المصطلح في (معجم المطبوعات العربية- سركيس)، ابن الفحام دور جديد ومعه حمل زجل1/202 ، مجموعة احمال زجل مصرية جمع پوريان1/601. حملي زجل- أحدهما في الازهار، والثاني في المأكولات1/1098. حمل زجل - في المكينات،2/1307. كتاب الدر في القدح - وهو حمل زجل2/1406. حمل زجل- أدبي لطيف، للشيخ محمد النجار، 2/1700.

(6) انظر: مع المكتبة العربية، ص255.

الكرمي، وروائع الشعر العربي، لخليفة محمد التليسي، وديوان الشعر العربي، لأدونيس، والمختارات السائرة، لأنيس المقدسي، ومنها كذلك جمع أو اختيار قصائد نشرت في مجلة ما لفترة محددة، مثل: (ديوان الأقلام)، وهي متعددة الأغراض، لمجموعة من الشعراء، وعصور مختلفة.

ب- اختيارات على أساس مرحلة تاريخية محددة كاختيارات بعض الأدباء على مبدأ العصور الأدبية: (الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي، والأندلسي، والمملوكي، والحديث، والمعاصر)، أو اختيارات لمجموعة من الشعراء في قرن واحد.

ج- اختيارات على أساس عرقي، أو قبلي، أو إقليمي، مثل: شعراء اليهود، أوشعراء النصرانية، أوشعراء القبائل، أوشعراء مدينة ما، أوشعراء بلاد من البلدان.

د- اختيارات على أساس الموضوع مثل: المدح، المديح النبوي، الهجاء، الغزل، الحرب، الخمرة، أو السياسي والفكري، منها: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، وأحلى عشرين قصيدة في الحب، لفاروق شوشة، ويقصد من بعضها المتعة كالاختيارات التي جاءت تحت عنوان (أروع ما قيل في الغزل، في الرثاء، في الحماسة...)، وبعضها يجمع بين المتعة والفائدة كاختيار (نزهة الأبصار في محاسن الاشعار).

هـ- اختيارات على أساس الجنس البشري، منها مختارات السيوطي: (نزهة الجلساء في أشعار النساء).

و- اختيارات على أسس لغوية، مثل: اختيارات لشعراء ناطقين بلغات غير لغاتهم الأم.

ز- اختيارات على أسس المعاني؛ أي: لإبراز المعاني المتداولة في الشعر وأفضل من عبر عنها على سبيل المثال لا الحصر: (ديوان المعاني)، لأبي هلال العسكري، و(مجموعة المعاني)، لعبد السلام هارون.

ح- اختيارات أساسها المماثلة أوالمناظرة منها: (الأشباه والنظائر) للخالِدِيْن في المماثلة والمناظرة بين المعاني المتداولة بين الشعراء، أو (قول على قول) للكرمي المذكور آنفا.

وعلى المعايير السابقة في الاختيار قام بعض الأدباء والنقاد بجمع الموشحات الأندلسية والمشرقية في مصنفات خاصة، تركت معها كثيرا من البصمات النقدية البارزة في ثنايا المجاميع،

كما أن هذه المختارات تعد من النقد الأدبي التطبيقي؛ لأنها تمثل جانبًا مهمًّا من العملية النقدية.

وبالرغم من عدم الاهتمام بفن الموشحات مبكرا، أو عند ظهوره كما ذكرت ذلك في موقف النقاد منه، فإن الاختيار منها كان مبكرا كاختيارات أبي الحسن البلنسي في كتابه المفقود: (نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس) الذي ضمنه عشرين وشاحا[7]، وتوشيع التوشيح لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت764هـ)، الذي جمع فيه واحدا وستين موشحا، وجيش التوشيح لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) الذي جمع فيه خمسة وستين ومائة موشحا، لستة عشر وشاحا، وعدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، لعلي بن بشري الغرناطي من رجال القرن الثامن تقريبا، الذي أورد فيه قرابة ثلاثمائة موشحا، وعقود اللآل في الموشحات والأزجال، لشمس الدين النواجي (ت859هـ)، سَجع الوُرق المنتحبة في جمع الموشحات المنتخبة للسخاوي (ت902هـ)، ومدد الجيش لعبد العزيز الفشتالي(ت1032هـ) جمع فيه خمسمائة موشحة، تذييلا على جيش التوشيح لابن الخطيب.

وفي الحديث ظهرت أعمال عدة اعتنت بالاختيار من فن الموشحات، تعكس في جمعها وطريقة عرضها المنهج الذي اختطه وارتضاه صاحب الاختيار ومن هذه الأعمال نذكر: الموشحات الأندلسية (سلسلة المناهل) ثلاثة أجزاء صغيرة، والعذارى المائسات لفليب خازن، وديوان الموشحات الأندلسية، للسيد غازي، والمستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية، لزكريا عناني، وديوان الموشحات الأندلسية، لمحمد أبوذينة، والمختار من الموشحات، لمصطفى السقا، وأروع ما قيل من الموشحات، إميل ناصف، والموشحات الأندلسية، انطوان محسن القوال وغيرها.

وسينهض البحث بعرض موقفين مهمين من خلال كتب المختارات التوشيحية: **أولهما**: الموقف النقدي عند الصفدي (764هـ)، من خلال مقدمته للكتاب، أو ما قدم به الموشحات التي جمعها في كتابه، **وثانيهما**: الموقف النقدي عند ابن الخطيب(776هـ)، من خلال ما قدم به الموشحات وأصحابها في كتابه، وهما يمثلان موقفين مختلفين من جهة البيئة

(7) انظر: أزهار الرياض، 253/2.

المكانية، وإن اتحدا زمانيا، فكلاهما عاشا في القرن الثامن الهجري، كما أنهما يمثلان حلقة من حلقات الإبداع الفني في مجالات متعددة من تاريخ الأدب العربي، مع بروزهما فيها.

أولا – الموقف النقدي عند الصفدي من خلال كتابه توشيع التوشيح:

يعد الصفدي من النقاد الذين أثروا الحركة العلمية في كثير من مجالات التأليف المعروفة التي لايؤلف عاقل في غيرها، ومصنفاته غنية عن التعريف بها، ولا تخلو من نظرات نقدية في كثير من الجوانب التي تعد من موضوعات النقد الأدبي وقضاياه، ومن هذه المصنفات التي سجل فيها بعضا من نظراته النقدية ومواقفه الأدبية: شروحه لبعض الأعمال الأدبية، وتعليقاته على مختاراته الشعرية، أوالتوشيحية في كتابه الوافي. ولعل من أهم ما يميز مؤلفاته التي عجت بالنقد الأدبي، أنها جمعت بين نوعين من النقد، **الأول**: الاختيار الذي يصنف تحت النقد التطبيقي، بالمعيار الانتخابي، **والآخر**: النقد الذاتي وهو مجموع الانطباعات على النصوص المختار.

جمع الصفدي بين هذين النوعين في كتابه توشيع التوشيح فاختار مجموعة من النصوص تربطه علاقة بها، وهي من النقد التطبيقي الذي ينتج عنه معارضة النصوص الأدبية، وقد صرح الصفدي بهذه العلاقة وذكر أسبابها في أكثر من موضع من كتابه توشيع التوشيح فمن ذلك: الإعجاب بالموشح، أوعروضه، أو معانيه، مع وجود الرغبة الذاتية في المعارضة، أو لطلب معارضته من بعض أدباء عصره، ومن هنا انقسمت مواقفه النقدية في كتابه توشيع التوشيح إلى محورين:

1- ماتضمنته مقدمته في فن التوشيح والوشاحين.

2- ما قدمه من تعليقات ونقود للنصوص وأصحابها في متن كتابه.

1- المقدمة:

جرت العادة عند كثير من المؤلفين أن يُضَمِّنوا من مقدمات كتبهم عصارة فكرهم، أو يجعلوها لذكر منهجهم في كتبهم المقصودة بالتأليف، وقد تناول الصفدي في مقدمته عدة قضايا نقدية عدة منها: قضايا عامة تتعلق بفن الموشح وبنائه، وبعض اللمحات التاريخية عن

بداياته وأعلامه، وقضايا خاصة ترتبط بتجربة الجامع الشخصية في ركوب بحور الموشحات ومعاناتها وغير ذلك.

فمما قاله في مقدمته مبينا إعجابه بموشحاته وجعله سببا وجيها لجمعها: ((فإني نظرت يوما فيما اتفق لي نظمه من الموشحات، ونسجته من برودها الموشعات، فوجدتها جملة جميلة، وعدة تضاهي زواهر السماء، وتباهي أزاهر الخميلة، إلا أنها في التذكرة ضائعة، ونفحاتها في أماكن متفرقة ضائعة، فآثرت جمعها في ديوان يضم شملها الشتيت، وسلكٍ يفيد الملتقط جوهرها ولايفيت))[8]، ثم قدم اعتذاره عنها، وهذا ماجرت به العادة عند كثير من المؤلفين تواضعا منهم: ((مع علمي أنها ليست مما يجمع، ولا من النظم الذي يسمع، ولكن كل حيوان يعجبه طنين رأسه، ويقع في هوة الإعجاب بنفسه على أم رأسه، محتبلا بأمراسه))[9]، ثم عرض لأولية فن الموشح وحقيقتها بين المغرب والمشرق، فقال: ((الموشح فن تفرد به أهل المغرب وامتازوا به على أهل المشرق، وتوسعوا في فنونه، وأكثروا من أنواعه وضروبه...))[10]، وهذه شهادة مشرقي قديم نرد بها على من يذهب بعنته من المحدثين بسبق المشارقة في اختراعهم للموشح.

أما حدُّ الموشح الذي وضعه ابن سناء الملك بقوله: ((ورسم الموشح هو: كلام منظوم، على قدر مخصوص))[11]، فعقب عليه الصفدي بقوله: ((بقوافٍ مختلفة))[12]، وإن كانت قضية تنوع القوافي بين الحين والآخر واضحة لدى القارئ أوالمستمع للموشحة، ولكنها تبقى إضافة تكمل حدَّ مصطلح الموشح، لمن لم يطلع على نصوصه مكتوبة، وبهذا يكون الحد جامعًا مانعًا.

وحاول الصفدي دفع اللبس والوهم عن القارئ في قول ابن سناء: ((والأقفال هي أجزاء مؤلفة، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها، في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها))[13]،

(8) توشيع التوشيح، ص19.
(9) توشيع التوشيح، ص19.
(10) توشيع التوشيح، ص20.
(11) دار الطراز: ص32.
(12) توشيع التوشيح، ص21.
(13) دار الطراز، ص25.

فقال الصفدي بعده معقبا: ((ينبغي أن تزاد هذه العبارة قوله: يبتدأ الموشح بالقفل ويختم))[14]. وقد بين الصفدي هنا الموشح التام دون الأقرع.

ومما عرض له في مقدمته الخرجة التي وضع ابن سناء بعض ضوابطها، فقال: ((قلت: هذه الشروط التي شرطها في الخرجة قلَّ من يلتزمها؛ لتعذرها على الوشاح، فهو إما أن يتركها، وإما أن يأتي بها خارجة عن هذه الشروط))[15]، ثم ذكر حالة بعض وشاحي عصره الذين لم يلتزموا بضوابط الخرجة التي حدَّها ابن سناء قائلا: ((لم يأتِ أحد منهم بخرجة، وإن أتى بها كانت غير داخلة))[16].

وقد بين الصفدي بعض ما قابله من مشقة وعنت في ركوبه بحر الموشحات، من خلال تجربته الذاتية في نظمها، ولم يخرج عن حال وشاحي عصره المذكورين آنفا، معترفا بتقصيره في بعض جوانبه الإبداعية؛ فقال: ((وأنا فقد ارتكبت فيها مزلتين، وسلكت فيها زلقين؛ لأنني غالب ما نظمته على وزن تقدمني، وأتيت بخرجة غير خرجته. وهذا فهو من أصعب ما يكون؛ لأن الوشاحين يحصِّلون الخرجة أولا، ثم إنهم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها، وأنا فأحتاج إلى أن التزم بذلك الوزن الذي تقدمني وبقوافيه، وأجيء مع ذلك بالخرجة الداخلة، وهذان أمران مشقان، إلا على من أيده الله بمعونته))[17]. فهذا النص هو إعراب عن معاناة الوشاح من خلال تجربة شخصية ذاتية، وهذا ربما يذكرنا بقول الفرزدق لابن أخيه إذ قال له ذات مرة: ((أنا أشعر بني تميم ويمر عليَّ الوقت ونزع ضرس أهون عليَّ من قول بيت من الشعر))[18].

ومن النقد المقدم للوشاحين جملة دون تعيين، عند ذكره لطائفة من الوشاحين قائلا: ((ممن سبق إلى التوشيح، وسبق الغاية من أهل المغرب جماعة، وهم:...))[19]، ثم ذكر منهم ثلاثة وثلاثين وشاحا، قدم منهم ثلاثة، ثم قال: ((ويليهم في الإجادة...))[20].

---

(14) توشيع التوشيح، ص22.
(15) توشيع التوشيح، ص29.
(16) توشيع التوشيح، ص29.
(17) توشيع التوشيح، ص30.
(18) الشعر والشعراء، ص78.
(19) توشيع التوشيح، ص33.
(20) توشيع التوشيح، ص33.

ذلك ماكان من قضايا نقدية تعرض لها الصفدي في مقدمته لكتابه توشيع التوشيح.

2- متن الكتاب:

صرح الصفدي بأن الغرض من وضع كتابه هو جمع شتات إبداعاته في فن الموشحات على صعيد واحد، وكانت طريقة تنسيقه بأن يأتي بموشحات تأثر بها، مبينا أثر بعضها، أو مشيرا إلى القيمة الفنية لأصحابها ومكانتهم في مجالهم الإبداعي، ثم يذكر معارضته لها وأسبابها.

وفيما يلي عرض لبعض النقود التي قدمها الصفدي في تقديمه وحديثه عن الموشحات التي عارضها.

1- نقوده للوشاحين الأندلسيين:

قام الصفدي بمعارضة سبع موشحات لابن زُهْر[21] قدم لها ببعض النقود الانطباعية مبينا أسباب المعارضة، من ذلك قوله: ((أردت أن أقفو خطاه قفوا، وأجيء بما جاء عفوا، وأجعل منهله من الرقة صفوا، وإن كان باعي عنه قاصرا، وداعي اتباعه لايجد له ناصرا))[22]، فحكم على موشح ابن زُهْر بالرقي والجودة والطبع والرقة من خلال قوله السابق، ثم بين قصور باعه وعدم تمكنه –مع تكلفه– للغاية التي وصل إليها ابن زُهْر بطبعه.

ومما قدم به معارضته لموشح ابن زُهْر: ((وراق لي هذا المشرع، وشاقني هذا المنزع، فعكستُ هذا الترتيب في القافية، وَوَرَدْتُ مناهل وزنه الصافية))[23]، فبيَّن بهذا موقفه النقدي، وإعجابه بالطريقة التوشيحية التي نهجها ابن زُهْر في موشحه، وشوقه لما وقع لابن زُهْر من بدائع فيها، فركب عروضها مستبدلا قافية المطلع والأقفال.

وقال قبل معارضته لموشح من موشحات ابن زُهْر: ((أعجبني ما فيه من الانسجام، والرقة التي لاتوجد في بنت الجام، والعذوبة التي لذت طعما، وأرت محاسنها من كان

(21) محمد بن عبد الملك بن زهر (الحفيد) (507-595هـ) ، ولد بإشبيلية، وهو مخضرم دولتي الملثمين والموحدين، نبغ في الطب والأدب بالأندلس. انظر: الأعلام: 250/6.

(22) توشيع التوشيح، ص59.

(23) توشيع التوشيح، ص61.

أعمى))[24]، فالمعايير النقدية في النص: (الانسجام، والرقة، والعذوبة، والوضوح)، وهذا مما يقدم به النقد للألفاظ والمعاني.

وعبَّر عن المتابعة الفنية لبعض المبدعين لطريقة ابن زُهْر، والمتابعة عملية نقدية يدركها المبدع أحيانا، وغير مدرَكة في أحايين أخرى، ومثَّل عمل ابن زهر بالروضة التي يتمنى أن تكون موشحته زهرة فيها، فقال: ((ونظم الأندلسيون وراءه كثيرا في هذه الطريقة الأنيقة؛ فأحببت أن يكون لي في روضها شقيقة،...))[1].

وقدم معارضته لموشح آخر من موشحات ابن زُهْر بقوله: ((راق لي هذا الوشي المحبوك، وأعجبني هذا الذهب المسبوك، فأردت أن أقفو أثره، وأقطف زَهْره، وأجني ثمره،...))[25]، قوة السبك التي تأسر النفس في النص سبب وجيه لتتبعه، والنظم على منواله وشكله، وربما يدخل ذلك تحت العامل النفسي، وهو الرغبة في المشاركة للنصوص الراقية ولو بالمعارضة، ومزاحمة الكبار في ميادينهم.

ومما قدم به لمعارضته لموشح من موشحات ابن زُهْر ما نصه: ((وراق لي هذا الوزن العذب، ورونقه الذي يفوق صقال العضب،...))[26]، فمن قوله هذا نتعرف على بعض أسباب المعارضة التي كان منها: الإعجاب بالوزن والموسيقا الظاهرة، ورونق الموشح من خلال عناية الناظم باختيار ألفاظه وتهذيب عباراته فهو في ذلك كالسيف المصقول، ثم أوضح للقارئ الغاية الذاتية النفسية الكامنة لدى الصفدي التي عبر عنها بقوله: ((فآثرت الازدياد من كيله، والسير في نهاره وليله))[27].

ومن آرائه النقدية التي تعرض بها للموشحات ما قدم به معارضته لموشح من موشحات الأعمى التُّطَيْلي[28]: ((رنحت معاطفي وهزتها، وجرَّت قريحتي إلى النسج على منوالها وجزتها، فأردت أن أنظم في هذا الوزن شيئا، مع لزوم ما يلتزم به الأعمى))[29]، ففي كلمة الصفدي

(24) توشيع التوشيح، ص104.
(25) توشيع التوشيح، ص138.
(26) توشيع التوشيح، ص140.
(27) توشيع التوشيح، ص140 ، انظر: ص110.
(28) أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي (ت525 هـ) ، شاعر أندلسي نشأ في إشبيلية. له ديوان شعر. انظر الأعلام: 158/1.
(29) توشيع التوشيح، ص123.

السابقة نقف على بعض العوامل الانطباعية التي أثرت فيه لجماليات فنية كامنة في نص الموشح، فدفعت بقريحته للنظم والتزام بعض ما التزم به سابقه من قوافٍ وغيرها.

ومن آرائه النقدية ما قدم به معارضته لموشح من موشحات عبادة بن ماء السماء[30]: ((رأيت ذكره قد طار طائره، وصبحه الذي ضوأ الأفاق سافره، وبديعه التي غلت على من يسومها جواهره، فأردت أن أنظم في هذا الوزن شيئا، واعتمدت فيه لزوما لم يلتزمه عبادة المذكور في موشحه، على أنه هو تكرر معه بعض القوافي،...))[31]، فالنص السابق نتبين منه النقد الذاتي الانطباعي من خلال إعجاب الصفدي بالوشاح عبادة رئيس الجماعة في فن الموشح، وروائع موشحات التي جعلته ينظم على بعض أوزانها، ومع هذا إلا أنه حاول أن يتبارى مع سابقه في تغيير القافية فقال: ((وقلت في هذا الوزن وغيرت القافية الأولى))[32].

ومما قدم به معارضته لموشح من موشحات ابن سهل الإشبيلي[33]: ((رنحت عطفي بإطرابها، وفعلت بي فعل أترابها، فأحببت أن أجري وراءها، وأجرَّ في التوشيح رداءها،...))[34]، يبين الصفدي تأثره وإعجابه إلى حد كبير بفن الموشحات بكلماته السابقة فبين جماليات النص المراد للمعارضة، كما بين جمال نصوص ابن سهل في حكم عام حين قال: وفعلت بي فعل أترابها، وهي محاولة منه لدخول حلبة التباري في ساحة ابن سهل الإشبيلي المعروف بعلو كعبه في فن النظم في عصره ، نقل الزركلي عن خالد البلوي في تاج المفرق ضمن حكاية غرقه قوله: ((... ولما بلغت المستنصر وفاة ابن سهل في البحر، قال: عاد الدر إلى وطنه!))[35].

أما موشحات ابن اللبانة فقد قال عنها: ((راق لي هذا الوزن الرائق، واللفظ الفائق، فأحببت مساجلته، ومباراته ومعاجلته،...))[36]، فنلحظ من خلال هذه العبارة الوجيزة على

---

(30) عبادة بن عبد الله الانصاري (ت422هـ)المعروف بابن ماء السماء: رأس الشعراء في الدولة العامرية بالاندلس، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذب ألفاظها وأوضاعها، واشتهر بها اشتهارا غلب عليه، ووفاته بمالقة. انظر الأعلام: 258/3.

(31) توشيع التوشيح، ص116.

(32) توشيع التوشيح، ص118.

(33) إبراهيم بن سهل الإشبيلي، أبو إسحاق: (605-649هـ) شاعر غزل من الكتاب، كان يهوديا، وأسلم، فتلقى الأدب، وقال الشعر والموشحات فأجادهما. أصله من إشبيلية وسكن سبتة. انظر الأعلام: 42/1.

(34) توشيع التوشيح، ص161.

(35) الأعلام: 43/1.

(36) توشيع التوشيح، ص133.

صغر حجمها وخطها، أنه يشير فيها إلى شيئين مهمين في النص الأدبي هما اللفظ والوزن، أما غاية المعارضة فكانت سجاله؛ أي: التواصل في النظم حتى النهاية إظهارا لقوة قريحته وجودتها، ومباراته في الإتيان بأجود مما جاء به السابق، وعلى فجأة، وهذه الأمور الثلاثة إنما تدل على بيان بداهة وسرعة وجودة المتأخر لدخول ميدان ابن اللبانة المشهور بنصوصه الرائعة نظما ونثرا، وهذا الأمر هو من أبرز دواعي المعارضات الفنية.

وممن تاقت نفس الصفدي لمعارضتهم والسير على نهجهم وسبيلهم الوشاح ابن الزقاق البلنسي[37] ؛ يقول الصفدي مبينا دواعي المعارضة: ((استخفني هذا الطرب، وأرشفني رضاب الضَّرَب فاغتبقت من كأسه، وارتفقت بين ورده وآسه، وتفوقت خلفه، ونظمت خلفه،...))[38]، ففي هذا النص يبين الصفدي بأسلوبه السجعي واستخدام المجاز في كلامه أن روعة وزن الموشح وجماله أثر فيه؛ فنهل من شرابه وعلَّ ، واتكأ عليه في معرفة دقيق لفظه وبديع معناه، فصار يكررها مرة تلو مرة؛ لكي يقف على جمالياتها الإبداعية، ثم أقام معارضته.

ومما اتخذه الصفدي وزنا لموشحة من موشحاته، البيت المشهور:[39]

ليل طويل ... ولامعين ... يا قلب بعض الناس .... أما تلين

فقال مقدما لها بما نصه: ((ومن ذلك ما جعلت خرجته خرجة استعملها جماعة من الوشاحين بالأندلس وغيرهم،...))[40]، وهذا الفعل من قبيل المعارضة في قواعد هذا الفن؛ بل هو أساس من أسس صناعة الموشحات.

2- نقوده للوشاحين المغاربة :

لم يحفل الصفدي بمعارضته للوشاحين المغاربة، إذلم يكن لهم أثر كبير في معارضاته؛ كالذي شوهد حاله مع الوشاحين الأندلسيين، فعارض اثنين منهما هما الحصْري وآخر مجهول.

(37) علي بن عطية ابن مُطَرِّف البَلَنْسي (ت528هـ)، أبو الحسن، ويعرف بابن الزقاق. انظر الأعلام: 312/4.
(38) توشيع التوشيح، ص149.
(39) دار الطراز، ص93.
(40) توشيع التوشيح، ص174.

أما معارضته لموشحة أبي الحسن الحصْري[41]؛ فقدم لها بقوله: ((شاقني هذا العمل، وساقني إلى أن أبلغ منه الأمل، فاقتعدت غارب الغربة، وسرت منه في أقفر تربة،...))[42]، وهذا الوشاح مشهور بقصيدة عالية الجودة قال في مطلعها: (ياليل الصب متى غده)، قال جامعو معاضارتها: ((ودفع الشعراء إلى معارضته بعشرات القصائد وإلى الإغارة على معانيه يحاولون صوغها، فما اقتربوا من ساحه، ولا استطاعوا التعلق بجناحه))[43]، وهذه حقيقة على ما يبدو تظهر من كلام الصفدي السابق، فقد عانى المشقة والغربة لعدم قدرته على المجاراة في مبانيه ومعانية، وحسن تصويره.

وكانت له جولة وصولة مع وشاح مغربي مجهول فأثنى على الموشحة ، وحاول أن يصنع شيئا من النظم على مثالها: ((هزت عطفي هذه العروض، وبزت لطفي مما لها عندي من القروض، فأحببت أن اعتلق بأذيالها، وأغتبق بجريالها،...))[44]، عبر هنا عن شدة أسر الموشحة له بانه أهتز طربا لجمال إيقاعها وموسيقاها؛ مما دفعه إلى الحكم بجمالها البديع الرائع، وعد هذا من القرض الواجب الرد فتعلق بأذيالها وشرب من كأسها، وبعد تعلق المعجب وتأثره، قام بمعارضتها، وهذا الحكم النقدي غالبا مرجعه النفس والذات التي تشغف بحب الجمال وتحوم حول حماه أنى نزلت ركائبه.

3- نقوده للوشاحين المشارقة

على كثرة انتشار فن الموشحات في المشرق العربي وولوعهم بهم إلا أنه لم يعارض منهم سوى اثنين منهما، هما: المحار الموصلي، وابن سناء الملك، بمجموع أربع موشحات، وهي على النحو الآتي:

عارض الصفدي موشحة للمحار الحلبي[45] فقدم لها قائلا: ((كلفني بعض الأصحاب الأعزة أن أعارضه، فقلت: هذا موشح رزق صاحبه فيه السعادة، واشتهر وما ينبغي للعاقل

(41) علي بن عبد الغني الفهري الحصري، أبو الحسن (ت488هـ): كان ضريرا، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس اتصل ببعض الملوك، ومدح المعتمد ابن عباد بقصائد، ومات في طنجة. انظر الأعلام: 300/4.

(42) توشيع التوشيح، ص 154.

(43) ياليل الصب ومعارضاتها، ص8.

(44) توشيع التوشيح، ص144.

(45) سراج الدين عمر بن مسعود بن عمر المَحَّار الكناني الحلبي، نزيل حماة، (ت711هـ). انظر: 66/5.

أن يعارض ما كان بهذه المثابة...))[46]، من خلال هذا النص يقف الباحث على أمرين: الأول- أنه ندب للمعارضة، والثاني: أن النص المراد معارضته من النصوص الجيدة المشتهرة، ويرى الباحث أن هذا اللون من المعارضة لا يأتي بما يراد منه من حيث قوة النص الجديد وجودته؛ ذلك أن المعارضة لم تنتج عن تجربة شخصية التي تصاحبها انفعالات نفسية تعطي دفقات نفسية للمعاني من خلال العاطفة الجياشة وثباتها في النص قوة يستمدها الناظم من مشاعره وأحاسيسه، وقد بين الصفدي أن في الاقتراح إشكالية، كما بين جودة النص الذي طلب منه معارضته بأنه نص راق وعال من جهة جودته، فَصَاحِبُه صَاحَبَهُ طالع سعد، ولذا يجب الاحتراز ممن سيدخل لفَلَك هذا الموشح، فلربتما أن تهب عليه طوالع نحوس فيصاب بخيبة الأمل في نتاجه الجديد فيولد ميتا، أو يموت في مهده، ولكن ثقة الصفدي من موهبته الفنية وقدراته الإبداعية ، دفعته إلى أن يركب فُلْكه النفيس ركوب المتمرس، دون خشية أن تأتي الرياح بما لا يشتهي الملاح.

ومما قدم به لإحدى معارضاته لموشحات المحار المذكور قوله: ((أردت أن أسري خلفه، وامتري خلفه، وإن لم أكن حلفه، فنظمت على زعمت، ودخلت في هذه الحلبة بسُكَيْتي وزحمت))[47]، ففي ساحة المحار الوشاح المشهور كلهم سكوت وسكون، وقد عد معارضته محاولة دخول إل ميدان الكبار على استحياء؛ رغبة منه على مزاحمتهم ولو كان في آخر الصفوف.

وقد أشاد الصفدي بموشحات المحار في كتابه التوشيع منها قوله: ((رأيت هذا العصب اليماني، وصقال هذا العضب الهندواني، فأردت أن أنظم في هذا الوزن، وأبرز دُرًّا طال منه الكتم والخزن، وأنبت زهرا بَعُد به عهد الروض في الحزن))[48]، فتراه شبه الموشح بالصنعة اليمنية في الثياب، المتميزة في متانة النسج، وجمال المظهر، وهنا كانت رغبة الصفدي فعارضه لما له جال في نفسه من معان كثيرة في خواطره، تحتاج إلى البوح بها.

(46) توشيع التوشيح، ص35.

(47) توشيع التوشيح، ص54. السُكَيْتُ: آخر من يجري في حلبة الخيل، ويوصف به الرجل الصموت، انظر: لسان العرب.

(48) توشيع التوشيح، ص65.

وممن عارضهم من المشارقة –أيضا– الوزير هبة الله ابن سناء الملك[49]: ((أردت سلوك هذه الطريق المخوفة، وقطع فجاج هذه التنوفة، ولازاد لي من ذوق، ولا سوق لى غير المحبة والشوق))[50]، فتجد الصفدي يعترف بقلة بضاعته، وصعوبة طريقه التي سيلج فجاجها؛ لأن نصوص ابن سناء قمة من القمم التوشيحية فهو قد اغترف من فنها منذ صغره، ثم قعَّد قواعدها، فجاءت نصوصه كلها غرر ودرر، من جهات منها: جزالة اللفظ، ودقة المعنى، ورقة العواطف، وروعة التصوير، وربما كانت هذه الأسباب نفسها وراء إحجام الصفدي وخشيته من معارضة موشحات ابن سناء؛ إذ لم يعارض منها سوى موشح واحد.

ومن معارضات الصفدي ما كان لأجل المعارضة فقط ليس إلا، وتكفيها مزية بأنها تعبر على تواصل الأجيال، أو أنها نقد ذاتي انطباعي مازج نفس الصفدي، ولم يعبر عنه قولا وعبر عنه بالفعل، ومن ذلك قوله قبل معارضته لموشح من موشحات الموصلي[51]: ((وكان الذي قلته أنا ولم أغير من القوافي شيئا))[52].

تلك هي بعض الومضات النقدية التي استخدمها الصفدي في كتابه، وانصب محور النقد فيها على فن الموشح، والوشاح، والنص.

ثانيا – الموقف النقدي عند ابن الخطيب من خلال كتابه جيش التوشيح:

قدم ابن الخطيب لموشحاته المختارة في مجموعه المذكور ببعض السطور التي عرَّف فيها بالوشاح وأدبه؛ وإن كانت هذه السطور قليلة جدا بالقياس إلى مجموعة النصوص المختارة، ولكنها حملت في طياتها نظرات نقدية تنم على معرفة نقدية وأدبية عالية، وبخاصة أنه ممن كان يعاني التجربة الإبداعية، فهذا ابن خلدون يقول عنه في مقدمته:((إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مدافع))[53]، فهو عارف بالصنعة الأدبية حاذق بها، فعند إصداره لأحكام نقدية تكون ذات قيمة كبيرة، فالناقد المبدع أكثر بصيرة من الناقد المحض الذي

(49) القاضي السعيد: (545- 608هـ) شاعر، مصري المولد والوفاة. جيد الشعر، بديع الإنشاء. كتب في ديوان الإنشاء، له دار الطراز في عمل الموشحات. انظر الأعلام: 71/8.

(50) توشيع التوشيح، ص49.

(51) أحمد بن حسن الموصلي: شاعر، ووشاح، وناثر. انظر: المنهل الصافي، 1: 252.

(52) توشيع التوشيح، ص45.

(53) مقدمة ابن خلدون، ص499.

يستخدم آلاته النقدية، التي تحيل النقد إلى عملية حسابية أحيانا[54]، وسيعرض البحث تعليقات ابن الخطيب مع كل وشّاح؛ لنرى ما في نظراته النقدية من المعايير الفنية المستعملة كثرة وتنوعا، تنم على ثقافة الناقد عامة في ذلك العصر، وثقافة ابن الخطيب على وجه الخصوص، وهي نظرات نقدية ذاتية انطباعية من جهة، وتطبيقية من جهة اختياراته في فن الموشحات، كما وجه بعض اللمحات النقدية إلى بعضهم في الجانب الشعري، وهو خارج عن حد هذا البحث وفيما يلي نماذج من نقوده التي قدمها في كتابه:

قال ابن الخطيب مقدما لمختاراته من موشحات ابن بقي[55]: ((وكثرة توشيحه وإحسانه في تنميق الكلام وتوشيحه، دل على اتساع ذرعه في المحاسن وركوب جادته، وجودة تصوره للمعاني ووفور مادته،...، وهاك من توشيحه ما يطلع زُهْرا، وينفح بروض الإحسان زَهْرا...))[56]، إن القارئ لهذا النص يجد قضايا نقدية عدة منها: الكثرة في النتاج مع الإحسان فيه، وتنميق الكلام، والاتساع، والجودة، والوفرة، ثم ختم بكلمة تليق بمقام ابن بقي قائلا: وهاك من توشيحه ما يطلع زُهْرا، وينفح بروض الإحسان زَهْرا، والعبارة الأخيرة حكم نقدي جاء على الطريقة السجعية، وفيه دلالة على السمو والعلو، وما يشتمل عليه النص التوشيحي من جمال فني أحّاذ.

ومما قدم به ابن الخطيب من أحكام نقدية عند ذكر موشحات الأعمى التطيلي، فقال: ((آي آية إعجاز، وتطويل في البراعة وإيجاز، وألفاظ أرق من الهوى مقسم البدائع بالسواء، حتى صار توشيحه مثلا سائرا بين الناس،... وهاك من توشيحه ما يرف نسيمه، ويروقك ترصيعه وتقسيمه))[57]، ففي هذا النص تجد أحكاما تدل على أن للأعمى القِدْح المعلى في هذا الفن؛ وذلك لاعتبارات عدة أهمها أنه: آية إعجاز، والجمع بين التطويل والإيجاز مع براعته في كليهما، كما تناول اللفظ فوصفة بالرقة، وأشار إلى ذهاب موشحاته أمثالا سائرة، وكثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة، مما يقدم به الأديب عن غيره، وعُدَّ صاحبها ممن له

(54) انظر: مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، ، ص57، انظر: التفكير النقدي عند العرب، ص77.

(55) يحيى بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، أبو بكر، (540هـ)، شاعر، من أهل قرطبة.اشتهر بإجادة الموشحات. وتنقل في بين مدن الأندلس التماسا للرزق. انظر: الأعلام: 152/8.

(56) جيش التوشيح، ص2

(57) جيش التوشيح، ص16.

التقدم بين الأدباء[58]، ثم ختم حكمه بعض ألوان البديع التي تزيد النص رونقا وجمالا كالترصيع ، والتقسيم.

أما ابن اللبانة[59] الشاعر الوشاح فكان من الذين أشاد بهم ابن الخطيب، وحكم لهم بالإجادة في فن الموشحات وذلك في قوله: بهرت بدائعه، وظهرت روائعه، وطلع من جو الإحسان بدرا، وجل فيه قدرا، راقت ألفاظه ومعانيه، وجزل كلامه ومبانيه، فجلا من التوشيح الرائق ما تلي سورا، واجتليت محاسنه صورا، وهاك من رائق توشيحه ما يشهد بسبقه، ويريك في جو الإبداع وميض برقه.[60]، إن الفاحص لنص ابن الخطيب يجد نظرات ثاقبة، وأحكاما نقدية متنوعة على كثير مما يقدم إليه النقد بالجودة منها: حكمه على أعمال الوشاح بالروعة، والإحسان، والجلالة، مع تناوله اللفظ والمعنى، ونتج عن ذلك التوشيح الرائق والشهادة له بسبقه وإبداعه فيه.

كما قدم ابن الخطيب نقدا إيجابيا للوشاح ابن أرفع رأسه[61]:((رفع في التوشيح رايته، وبلغ منه غايته، واستوفى أمره ونهايته، فجلا برائق مبانيه، أنوار معانيه، فجاءت ألفاظه يرف رونقها، ويشف تأنقها،...، وهاك من بدائعه ماهو عذب زلال، وسحر حلال))[62] ، ففي هذا النص حكم ابن الخطيب للوشاح بتقدمه ودوره في فن الموشح، فهو من رفع الراية، وانتهى إلى الغاية؛ مع الكمال في المباني والمعاني، مع الجمال والأناقة، ثم عقب بحكم التجديد والعذوبة.

ومما قاله ابن الخطيب مقدما لمختارات من موشحات أبي عبد الله محمد ابن الحسن البطليوسي[63] ما نصه: ((أحيا من الإحسان مَيْتًا، وبنى في ساحة الإعجاز بيتا، فجاء بما أبدع، وأودع فيه من المعاني الرائقة ما أودع، ونظم دُررها، واحتلب دَررها، وأتى بالبديع ولاء،

(58) انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ، ص322.

(59) محمد بن عيسى اللخمي، أبو بكر، المعروف بابن اللبانة (507هـ): أديب أندلسي، شاعر، وشاح. انظر: 322/6.

(60) انظر: جيش التوشيح، ص59.

(61) هو أبو بكر محمد بن أرفع رأسه : شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، وأثنى عليه ابن سعيد في المقتطف ص256، وتابعه ابن خلدون في مقدمته ص492، وابن الخطيب في النص أعلاه، وعنده (أبو عبد الله محمد ابن رافع رأسه).

(62) جيش التوشيح، ص73.

(63) انظر: المغرب، 370/1، نفح الطيب: 435/3.

واستحقها نسبا وولاء، وهاك من بدائعه شهبا متقدة، ودُرًّا لا يخاف منتقده))[64]، عدَّ ابن الخطيب في كلمته السابقة البطليوسي من المجددين في فن الموشحات، والمحسنين فيها، البالغين درجة الإعجاز، وأكثر من وصف أعماله بالبديع، وكَنَّى على جزالة ألفاظه، وسهولة انسيابها وانسجامها، ثم قال: وهاك من بدائعه شهبا مُتقدة، ودرًّا لا يخاف منتقده، والأحكام الأخيرة هي من الأحكام الجديدة، وبخاصة في قوله: (شهبا متقدة)، وهذا حكم نقدي لم يرد عند النقاد الأوائل في الحكم على الأعمال الأدبية.

وقال ابن الخطيب –وهو يقدم موشحات أبي الفضل ابن شرف[65]– ما نصه: ((وهو في التوشيح مقلٌّ وعلى قدم الإحسان مستقلٌّ، وهاك من توشيحه ما يشهد له بالإجادة، ويقلده صارم الطبع ونجاده))[66] ، فابن الخطيب هنا يعتمد في حكمه على موشحات ابن شرف معيار القلة في النتاج مع توفيقه وإحسانه، إذافة إلى معياري الجودة، وقوة الطبع ، وكلها مقاييس نقدية متواثرة في المدونات النقدية الأدبية العامة[67].

وتعرض ابن الخطيب للوشاح أبي القاسم المنيشي[68]، فقال عنه: ((برز فسبق، وأصاب المفصل وطبق، ورمى إلى الغرض، فبين الجوهر من العرض،...، وهاك من توشيحه ما نظم دُرَّه، وامترى دَرَّه،...))[69]، إذ حكم على الوشاح بالبروز والسبق، والإصابة، وبلوغه الغرض، إلى بيانه أن لبَّ العمل الفني وجوهره غالب على ظاهره.

ومما ورد عند ابن الخطيب من نقدات ما جاء في تقديمه لموشحات الوزير أبي بكر الصيرفي[70]:((آية باهرة ومعجزة ظاهرة، عرف إحسانه، وأصاب الغرض لسانه، بهرت أنوار أقسامه فاجتليت، وسُطرت بدائع معانيه وتليت،...، وهاك من توشيحه ما تجتنيه حين

---

(64) جيش التوشيح، ص86.

(65) انظر المغرب 2: 230 ، انظر الأعلام: 128/2.

(66) جيش التوشيح، ص97.

(67) انظر: التفكير النقدي عند العرب، ص130، ص164، ص172، ص207 وغيرها.

(68) أَبُو الْقَاسِم بن أبي طَالب الْحَضْرَمِيّ المنيشي الْمَعْرُوف بعصا الْأَعْمَى، لقب بعصا الْأَعْمَى لِأَنَّهُ كَانَ يَقُود الْأَعْمَى التطيلي، وَقَالَ الحجاري فِي وَصفه ابْن الإِمَام أحد الْأَفْرَاد وَرَأس الجهابذة النقاد، انظر: المغرب،289/1.

(69) جيش التوشيح، ص109.

(70) يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، أبو بكر (467-557 هـ): مؤرخ، من الشعراء المجيدين.من أهل غرناطة ألف (تاريخ الدولة اللمتونية) ،وكان من أعيان شعرائها ومُداح أمرائها، انظر الأعلام: 164/8 .

تجتليه، وتصطفيه حين تقتفيه،...))[71]. فالوشاح في هذا النص: آية باهرة، ومعجزة ظاهرة، محسن مصيب، ثم بيَّن أن مختاراته من موشحات الصيرفي المختارة، كانت بعد فحص وتتبع وتأنٍ، وليست ناتجة عن تسرع أو انطباع عابر. كما يفهم من قول ابن الخطيب –أيضا– وجود معايير نقدية في اختياراته للنصوص الإبداعية، غير المعايير الذاتية الانطباعية التي لم يصرح بها للمتلقي.

كما سجل ابن الخطيب بعضا من نقوده على موشحات أبي الوليد يونس الخباز[72] فقدم لها بالثناء على الوشاح مبينا منزلته في فن التوشيح فقال: ((عَذُبَ سبكه، وراق ترصيعه وحبكه، مع طبع في نظم الكلام سيَّال، وإلى الإحسان ميَّال،... وهو في الأندلس شبه الخبز أرزي بالمشرق، والذي حداه إلى الاختراع والتوليد، وأقدمه على الابتداع وترك التقليد، ذكاء أرهف فؤاده، وأقام في البديهة منآده، وهاك من توشيحه ما تجتنيه بديعا، وتحتليه صريعا،...))[73]، في هذا النص أحكام نقدية عدة شملت الموشحات وصاحبها، ففي الحكم على الموشح تجد وصفا لبلوغ الإجادة فيه، من مقاييس عدة، كما قدم حكمه على الوشاح بوصفه مكثر في نتاجه محسن فيه، كما اعتمد معيار الموازنة بوضع يونس الخباز في مرتبة الخبز أرزي بالمشرق[74]، وعلل هذا الحكم بأنه كان يخترع المعاني ويولِّدها، ويبتدع في فنه ويبتعد عن المتابعة، ثم عرج على ذكر بعض الصفات العقلية التي أهلته لهذه المنزلة، وهي: الذكاء المرهف، وسرعة البديهة، ثم ختم حكمه على موشحاته بأنها من بدائع القول.

وقريب من أحكامه السابقة ما حكم به على موشحات أبي بكر السرقسطي الجزار[75]؛ إذ قال فيه: ((ولَّد واخترع، وفي كلتا الحالتين برع،... مع طبع في كل ذلك فائق، بالمعنى المخترع، واللفظ الفائق،... طبع منقاد، وذكاء وقَّاد، عشا عن العلم بطبعه، وقرع غرب نطرائه بنبعة، فزاد عليهم وشف، واستقصى الحقائق واستشف، وهاك من توشيحه ما تلمحه

---

(71) جيش التوشيح، ص120.

(72) لم نقف له على ترجمة.

(73) جيش التوشيح، ص135.

(74) نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري، أبو القاسم (ت327 هـ): شاعر غزل، علت له شهرة. يعرف بالخبزأرزي، وكان أميا، يخبز (خبز الأرز) بمربد البصرة في دكان. وينشد أشعاره في الغزل، والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله، وانتقل إلى بغداد، فسكنها مدة. وأخباره كثيرة طريفة. انظر الأعلام: 21/8 .

(75) كَانَ فِي دكان يَبِيع اللَّحْم فتعلقت نَفسه بقول الشّعْر فبرع فِيهِ، وَصدر لَهُ أشعار مدح بهَا الْمُلُوك من بني هود ووزرائهم، ثمَّ ترك الْأَدَب وَالشعر، وَاعْتَكف على القِصَابة، انظر المغرب: 444/2.

فتستملحه، وتلحظه فتحفظه،...))[76]، فالنص السابق على صغر حجمه إلا أنه مملوء بالإشارات النقدية، فمن توليد المعاني واختراعها، والبراعة في كليهما، والطبع، وخصه بالذكاء وتوقده، وتفوقه على نظرائه من الوشاحين، مع ملاحة نصوصه وسهولتها.

ومن نظرات ابن الخطيب النقدية التي قدم بها موشحات أبي عيسى ابن لبون[77] قوله: ((وتوشيحه وكلامه سهل المرام، بديع النظام، يرفُّ عليه رونق الماء وطبعه، وإن لم يكن باعتنائه،... فجاء بما بهر، وعرف فيه إحسانه واشتهر، مع سؤود وكرم،... وهاك من توشيحه نورا ينفح، ولجة بالبديع تطفح...))[78]، فحكم له بسهولة إبداعاته، وعذوبة ألفاظه وانسيابها، مع كثرة فنون البديع فيها، مع جودة طبعه فيها؛ مع أنه ليس من اهتمامه نظم الموشحات، ولكن ظهر إحسانه فيها فسبق، ولم يكن النقاد الأوائل يحكمون على الأعمال الأدبية بنفح النوار، ولعل هذا من الأحكام التجديدية، وتأثير البيئة الأندلسية في النقد بخاصة والأدب بعامة.

ومن أحكام ابن الخطيب لبعض موشحات الوزير المشرف أبي بكر بن رحيم[79] قوله: ((نظم الفقر، وبحث عن المعاني ومهر، وحسن أقسامه، وكسا توشيحه رونقا ووسامة، ورفع للطارقين مناره، وأوقد لهم باليفاع ناره، مع اصطناع الأحرار بالمنن، وقصد من الجود إلى أرفع سنن، وهاك من بدائع توشيحه ما يروق نشره، وينفح نوره وبشره،...))[80]، مما يبدو لي أن بعض الأحكام المذكورة آنفا تدل بكل وضوح على التكلف فمن نظم إلى بحث، وتحسين، وتجويد، وهذا يذكرنا بمعيار نقدي قديم عرف منذ العصر الجاهلي عند زهير ومن سار على نهجه، وهو التحكيك والتنقيح عند الأديب لأدبه[81].

---

(76) جيش التوشيح، ص147.

(77) الوزير والقائد أبو عيسى لبون بن عبد العزيز بن لبون بن ذي النون، رَأَس بمربيطر من أعمال بلنسية، ثم تخلى عنها لأبي مروان بن رزين، وكان معدوداً في الأجواد موصوفاً بتجويد القريض، انظر المغرب: 376/2.

(78) جيش التوشيح، ص158.

(79) محمد بن أحمد بن رُحَيْم ، أبو بكر ذو الوزارتين الأندلسي (ت520 هـ): شاعر من كبار الكُتَّاب كان صاحب الديوان بإشبيليّة. أورد صاحب الخريدة نماذج حسنة من شعره. انظر الأعلام : 317/5.

(80) جيش التوشيح، ص170.

(81) التفكير النقدي عند العرب ، ص35 .

وقال ابن الخطيب مقدما لمختاراته من موشحات أبي عامر ابن يَنَّق[82]: ((إلا أنه قليل المادة في التوشيح، يسير السبك له والتوشيح،...، وقد أتيت من توشيحه ما يزدهيك سرورا، وتجتليه نورا،...))[83]، وبالرغم من حكم القلة التي حكم بها عليه، إلا أنه أورد له تسع موشحات، وهو العدد نفسه الذي أورده لأغلب الوشاحين في جيش التوشيح.

أما مختاراته من موشحات ابن زُهْر الحفيد فقد حكم له بكثير مما يقدم به الأديب على أقرانه، فقال: وأبدع في التوشيح وأغرب، وسهل السنن إلى المعارف وقرب، فجاء توشيحه يرف رونقه، ويشف ألقه، وطبع غير متنافر،...، وهاك من توشيحه ما ترتاح له النفس[84]، فالأحكام الواردة في هذا النص دالة على تقدم ابن زُهْر في فن التوشيح ومكانته التي اعتلاها فيه، بإبداعاته، مع الغرابة والبهاء والرونق فيها، والطبع الفطري المتناسق، ثم انتقى للقارئ بعض موشحات ابن زُهْر، وحكم عليها بأنها مما ترتاح إليها النفس.

وكان خاتمة الاختيار للوزير أحمد بن مالك السرقسطي[85] فقال فيه: ((قرَّط في التوشيح وشنف، ونور في الإعجاز فيه وصنف، وأخذ نفسه في توشيحه، بتوليد الكلام وتنقيحه،...، وهاك من توشيحه ما ترتشفه لعسا، وتتمناه بلعل وعسى))[86]، أشاد ابن الخطيب في نصه السابق بعلو كعب السرقسطي، فجاءت موشحاته كالمعجزات، فولد معانيه، ونقح ألفاظه ومبانيه، فجاءت من الحلاوة والطلاوة بمكان.

تلك هي الوقفات النقدية التى حكم بها ابن الخطيب على مختاراته في جيش التوشيح، بلغت عدتها ما يزيد عن ثلاثين حكما نقديا، طالت النصوص وأصحابها، من وجهات عدة مستخدما في ذلك المصطلحات النقدية المستخدمة في كتب النقد ومدوناته: كالطبع

---

(82) محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن يَنَّق، الشاطبي، أبو عامر: (482-547هـ) مؤرخ أديب أندلسي، من أهل شاطبة. من كتبه (الحماسة) كبير، و (ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها) و (مجموعة خطب)، انظر الأعلام: 137/7.

(83) جيش التوشيح، ص182.

(84) انظر: جيش التوشيح، ص196.

(85) الوزير الكاتب أبو بكر أحمد ابن مالك السرقسطي: رحل إلى مصر، فانجلت هناك أنواره وتأرجت به أنجاد ذلك القطر وأغواره، وله نظر في العلم الفلسفي أربى فيه على مباريه ومجاريه، وكان الوزير أبوه أبو الوليد قد انتقل من موطنه سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى إلى مرسية وبلنسية، فتقلد بهما رئاسة الشرف والوزارة، وحمل أعباء الملك وأوزاره، وأستدعي من مراكش حضرة ملكها، وطلع بدرا في فلكها، انظر: جيش التوشيح، ص 213.

(86) جيش التوشيح، ص213 .

والتكلف، واللفظ والمعنى، والتوليد والتقليد، والإحسان، والحبك والسبك، والتطويل والإيجاز، والتنقيح وغيرها مما ذُكر آنفا.

كما يُستشف منها عمق التجربة النقدية التي تنم على القوة الناقدة الفاحصة لدى ابن الخطيب، ولاسيما أن ما قدمه ابن الخطيب من نظرات نقدية في جيش التوشيح كان من النقد الذاتي، وتدخل مختاراته تحت النقد التطبيقي؛ لأن اختيار الإنسان قطعة من عقله، والحكم على الشيء فرع من تصوره والمعرفة الدقيقة به.

ومع أن ابن الخطيب جمع مائة وخمسة وستين موشحا، اختار لكل وشاح منهم تسع موشحات، عدا التطيلي الذي خصه بتسعة عشر موشحا، أو السرقسطي الذي نقص نصيبه عنهم بموشح واحد، فإنه لم يأت ببعض نصوصه في هذا الفن النظمي الرائع في عمله هذا الذي حافظ فيه على كثير من جلائل النصوص التوشيحية التي لم ترد في سواه، بالرغم من طول باع ابن الخطيب في فن التوشيح، ومعاناته له كما نصَّ على ذلك بعض مؤرخي الأدب[87].

وقبل الختام نذكر بعض المصطلحات النقدية التي استعملها الناقدين في كتابيهما، التي قد نرى من خلالها مدى متابعتهم للنقاد القدامى فمن المصطلحات النقدية التي طبقت على النصوص المختارة؛ بل ربما كان بعضها سببا في الاختيار منها: الرونق، والوسامة، والمثل السائر، والبديع، والسهولة، والكثرة، والطبع، والقلة، والتطويل، والإيجاز، واللفظ والمعنى، والجودة، والسبق، والاستيفاء، والغاية، والإصابة، والتوليد، والتقليد، والترصيع، والتوشيح، والإحسان، والمخترع، والفائق ، والغرابة، والموازنة، والاتساع، والتقريط، والتشنيف، والتنقيح، والحذو، والعفوية، والعذوبة، والانسجام، والرقة، والالتزام، والإبداع، والجواهر، والسبك، والحبك، والمتابعة، والمساجلة، والمباراة، والنسج، والطرب، والوشي، وغيرها من مفاهيم المصطلحات النقدية التي اختفت تحت الأسلوب السجعي الذي استخدمه كلا الناقدين في التعبير عن أحوال الموشحات والوشاحين وقيمتهم الفنية.

ونصل إلى ختام هذا البحث إلى نتائج عدة، منها:

(87) مقدمة جيش التوشيح، صفحة: (ص ، ق).

1- متابعة الاختيارات التوشيحية لمبادئ الاختيارات الشعرية.

2- متابعة نقاد الموشحات نقاد الشعر في بعض أحكامهم.

3- تنوع النقد لديهما فوجَّها النقد إلى النص، والمبدع، وإلى العملية الإبداعية.

4- غلبة النقد الذاتي على الآراء النقدية عندهما.

5- صياغة الآراء النقدية بطريقة العصر، فكان إيرادها بأسلوب سجعي ومجازي عند كليهما.

6- النقد التطبيقي من جهة جمع المختارات، وجلب المعارضات عند الصفدي.

7- فن المعارضة وصلته الوثيقة بالحركة النقدية لفن الموشحات؛ إذ أغلبها تأتي على أوزان سابقة؛ لارتباط الخرجة بهذا الفن.

8- القيمة النقدية الصادرة عن الصفدي، وابن الخطيب؛ لأنهما من الذين عانوا التجربة الإبداعية والتجربة النقدية، ورأيهم النقدي مقدم على من مارس التجربة النقدية فقط، كما قرر ذلك بعض النقاد في مدوناتهم.

9- بالرغم من تقارب الصفدي (ت764هـ)، وابن الخطيب (ت776هـ)، فهما متعاصران، معاصرة زمنية لا مكانية، إلا أن الصفدي لم يذكر ابن الخطيب وموشحاته.

10- التعرف على أسباب المعارضة عند الصفدي، منها: الاقتراح، ومنها الإعجاب بالوزن، أو المعاني، أو الرغبة الذاتية لدي الصفدي.

11- احتفظ جيش التوشيح لابن الخطيب بالآراء النقدية على موشحات غيره، أما توشيع التوشيح للصفدي فاحتفظ بموشحات المشارقة والأندلسيين والمغاربة مع معارضات الصفدي لها، وموشحات أخرى من إبداع الصفدي.

12- التعرف على التأثير المغربي وبخاصة الأندلسي في الأدب المشرقي، وهو إنصاف من بعض المشارقة كالصفدي للمغاربة، في أكثر من موضع من مؤلفاته.

المصادر والمراجع

1- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المَقَّرِي التلمساني صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية وحكومة دولة الأمارات شارك في تحقيقه مجموعة من الباحثين ج 1، 2، 3: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي؛ ج 4: سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت[الطنجي]؛ ج5: د. عبد السلام الهراس، سعيد أحمد أعراب.
2- أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر ، لا. ط، 1994م.
3- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط10، 1992م.
4- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت- لبنان،ط3، 1401هـ 1981م .
5- التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر المعاصر، سوريا، لبنان، ط1، 1423هـ 2002م.
6- توشيع التوشيح، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: البير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت لبنان، لاط، لا ت.
7- جيش التوشيح، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: هلال ناجي، مطبعة المنار- تونس، لاط، لات.
8- خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر، المولى محمد المُحِبّي، تصحيح: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية – مصر، لاط، 1284هـ.
9- دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق: جودت الركابي، دمشق، سنة 1949م.
10- ديوان ابن سهل، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لاط، 1415هـ- 1995م.
11- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم،ط1 ، 1418-1997م.
12- العاطل الحالي والمرخص الغالي، صفي الدين الحلِّي، عني بتصحيحه: ولهلم هونرباخ، مطبعة فرانتز شتاينر ويسبادن- ألمانيا ،لاط، 1955م.
13- عقود اللآل في الموشحات والأزجال، شمس الدين النواجي، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، لاط، لا ت.
14- العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط4، 1981م.
15- عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق: طه الحاجري - محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، لابلد، 1956م.
16- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر– بيروت، ط3، 1414هـ .
17- مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، شلتاغ عبود، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ط1، 2010-2011م.
18- مع المكتبة العربية، عبد الرحمن عطبة، دار الأوزاعي، ط3، 1406هـ-1986م.
19- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، منشورات جامعة طرابلس - ليبيا، ط1، 1379هـ-1977م.
20- معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه.يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، لاط، لا ت، طبعة مصورة عن أصل: 1339هـ- 1919م.
21- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م

22- المقتطف من أزاهر الطرف، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لاط. 1984م.
23- المغرب في حلىٰ المغرب لابن سعيد المغربي (ذخائر العرب)، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف، ط 2. لا ت.
24- المقدمة، ابن خلدون، دار العودة – بيروت، لاط، 1981م.
25- المنهل الصافي بعد الوافي، يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لاط، 1984م.
26- الموشحات الأندلسية، محمد زكريا العناني، (سلسلة عالم المعرفة)، (31)، لاط، 1400هـ-1980م.
27- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين أحمد المَقَّرِي التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1408هـ -1988م.
28- يا ليل الصب ومعارضاتها ، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيىٰ، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،ط2 ،1986م.